



ثلاثة أسابيع مرت على اقتتال الإخوة الأصدقاء، من أصحاب المشروع الواحد على أرض الغوطة، أرض الوعد، من دمشق الجميلة الحبيبة.

ثلاثة أسابيع من الاقتتال مرت والحديث عن عشرات بل عن مئات من الضحايا و"الحدث" بحد ذاته فاجعة، في زمن تكاثر فيه الفواجع على السوريين الأحرار، في الداخل والخارج على السواء.

ولقد ألمت (المصيبة) أفواه أنصار الثورة، فأرموا لا يدرؤون ماذا يقولون؟ ولا كيف يعلقون؟ فآثروا اللواز بالصمت، والهروب إلى الدعاء والرجاء.

وأطلق الحديث الفاجع ألسنة الأعداء والمتربيسين والمشككين والمراهنين، فطلبوا وزمروا وضخموا وتخرسوا واتهموا وكان من أبسط ما قالوه: هذه ليس إلا البداية والقادم أعظم.

بالغ المتربيرون والشائدون في أعداد، الضحايا، الذين لا نستطيع في هذا المقام أن نرجو لهم بل نحن نخاف عليهم، وتحذثوا عن سلاح ثقيل لم يستعمل إلا في قتال الأخ آخاه، وتخرسوا في ذكر أسباب الفتنة ودعاعيها، فتحذثوا عن مكاسب وغناائم ولعاعات، ونفخوا أكثر في كير الفتنة فنقلوا أو زوروا كلاما على لسان، علтан وفلتان، إذكاء لنار، ونفخا في أوار، وتحزب بعض زورا لفريق ليجد فرصة أفضل للتحريض والتسعيرو والتجييش بعض فعل سويلم اليهودي يوم جلس ينشد بين الأنصار ، أشعار يوم بعاث..

من يعيش الواقعية المجتمعية والسياسية والثورية يدرك أن الخلاف بين الناس ، وفصائل الثوار من الناس، قد يقع فيشتتد في كل وقت وفي كل حين. تقول الحقيقة الشرعية ((وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ الْخُلُطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) ولكن حل الخلاف ، ودفع البغي لا يكون دائما باللجوء إلى السلاح ، والجنوح إلى القتال ، بل يفرض الظرف على الإنسان حكما يكون فيه احتمال البغي أوجب وأحكم وأكرم من دفعه ، فيصبر الإنسان على الأذى ، ويرضى فيما يظنه البعض إعطاء دنية وهو يمارس التسامي في أسمى وأرقى صوره..

وفي وضع تشتبك به الخيوط وتعتقد كما هو واقع السوريين اليوم، لا يبدو أن البحث عن (محق ومبطل) أو (مبغي عليه وباغ) بين المتقاتلين من الحكمة في شيء. وإنما الحكمة كل الحكمة في نداء الأرواح والعقول والقلوب إلى الفيئات إلى الفضل، وفي بيان حقيقة أن التفضيل فوق الحق ، وأن الكرامة في العفو وليس في الاقتضاء.

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدًا

المبادرة اليوم في بيان حقيقة أن الطلعات التي تتبادلها الفصائل فيما بينها ، لا تنها من فصيل ، وإنما هو إطلاق حقيقي على عقول كل السوريين الأحرار وقلوبهم. إطلاق على روح الثورة وضميرها وإعدام لمصاديقها ولمشروعيتها ، وقطع للطريق على المبشرين بها الداعين إليها ، والمدافعين عنها .

والدرس الذي يجب أن يستفاد من كل ما جرى ويجري من قبل ومن بعد ، في الغوطة وفي غيرها: (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا..))

والسؤال الذي ظل يطرح نفسه من أول يوم تنازرت فيه أخبار الفتنة : أين هم المصلحون بين الناس ؟! أين هم الذين يرثلون ويعلمون ويشرعون ((لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ)) ..
نَسْأَلُ عَنْهُمْ لَيْسَ فَقْطُ لِتَكُونُ لَهُمْ هَيَّنَاتٌ، وَإِنَّمَا لِيَكُونَ لَهُمْ حُضُورٌ، يُطِيرُ إِلَى الْمَوْقَعَةِ حِيثُ تَقْعُ فَتَفَصِّلُ بَيْنَ الْمُتَبَاغِينَ بِالْحَقِّ
أَوْ بِالْفَضْلِ وَالْعَفْوِ؟!

أين هم الذين يدركون الناس بمبادرة حاضرة سريعة يوم نشوا رسول الله أدرك الأنصار في الحَرَة، فخرج إليهم سريعاً: الله... الله.. أبدعو الجاهلية وأنا بين أظهركم ..

أين هم رجال المشيخة الموقرة على كل أرض ، وفي كل ميدان؟! أين هم قيادات القيادة المعترفة، التي تثبت في مستنقع الحدث رجالا لا أرجالا، أين هم المتقدرون المتقدرون؟! نسأل عنهم ليس لا يصدروا بيانات، أو يوجهوا نداءات وإنما ليسدوا أفواه البنادق، ويلجموا ألسنة الفتنة؟! ويسيغوا على الجميع ثوب الفضل...
(ورجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيبة طار إليها)

مركز الشرق العربي

المصادر: